

جنازة "الهضيبي" استفتاء جديد على شعبية (الإخوان المسلمون)

بقلم: أ.صلاح عبدالمقصود*



السبت 6 مارس 2004 02:01 م

- جنازة الفقيد الكبير تحوّلت إلى استفتاء على أكبر حركة شعبية يصغها الإعلام الرسمي بالجماعة المحظورة.
- مرشد الجماعة المحظورة! شيعه أكثر من ربع مليون من مختلف الأجيال من شباب في عمر الزهور إلى شبوخ تجاوزوا الثمانين!
- الداعية الهضيبي.. لم ينزل عن قضايا الأمة، بل رأيناه في الشهور الأخيرة يقود تجمع استاد القاهرة الدولي الذي احتشد فيه مئات الألوف دفاعًا عن فلسطين والعراق، ورأيناه يقود مظاهرة الأزهر التي شارك فيها عشرات الألوف

- في التاسع من شهر يناير شيعت مصر- بشبابها وشيوخها- العالم الفقيه والداعية المجاهد فضيلة المستشار "محمد المأمون الهضيبي"- المرشد العام لـ(الإخوان المسلمون)، والذي لَبَّى نداء ربه في ليلة مباركة هي ليلة الجمعة، وتحولت جنازة الفقيد الكبير إلى استفتاء جديد على شعبية حركة (الإخوان المسلمون)، والتي يصغها الإعلام الرسمي بأنها الجماعة المحظورة.

أ. صلاح عبد المقصود

مرشد الجماعة المحظورة! شيعته أكثر من ربع مليون من الشباب الذين هم في عمر الزهور إلى الشيوخ الذين تخطوا سن الثمانين.. المرشد الذي لقي ربه في منتصف ليل الجمعة بعد أن أخذ الناس إلى الراحة، احتشد لتشييع جثمانه- خلال ساعات- مئات الألوف الذين تقاطروا على مسجد رابعة العدوية وميدانها بمدينة نصر للصلاة عليه، والسير خلف جنازته.

الألوف المؤلفة التي ضاق بها المسجد وساحاته من العاشرة صباحًا جاءت دون رغبة في شيء إلا المثوبة من الله، ودون رهبة من أحد، رغم الحصار الذي فرض على مداخل القاهرة ومخارج المحافظات للحيلولة بين الناس وبين المشاركة في تشييع داعية كبير أحب الله فأحبه الناس.

كثير من الناس يعيشون لأنفسهم، فإذا ما ماتوا لم يذكرهم أحد، وقليل منهم يعيشون لدينهم ودعوتهم، فإذا ما ماتوا غابت أجسادهم وبقيت سيرتهم الطيبة، ومن هؤلاء القلة أستاذنا ومرشدنا فضيلة المستشار "محمد المأمون الهضيبي".

وقديمًا قال الشاعر في الصنف الأول الذي يعيش لنفسه:

هذا الذي إن عاش لا يُعنى به وإن مات لا يحزن عليه أقرابه

ما الذي يعيش لدينه ودعوته، فهو حي بين الناس وإن غادرهم بجسده:

الناس صنفاً: موتى في حياتهم واخرون يبطن الارض احياء

المستشار
محمد مأمون
الهضبي

لقد رحل المرشد السادس لـ(الإخوان المسلمون) المستشار "مأمون الهضبي" بعد حياة حافلة بالجهاد، والعطاء، والدعوة إلى الله، والصبر على طريق الإيمان، والثبات على الموقف، فلم يغيّر ولم يبدل، ولقي ربه نائباً متجرداً، عزيزاً كريماً، لم يفرط ولم يضيع، بل عاش قابضاً على المبادئ، ومات دون تفریط فيها.

"مأمون الهضبي"- المرشد السادس للإخوان- مثله مثل والده الإمام الممتحن المستشار "حسن الهضبي"- المرشد الثاني لـ(الإخوان المسلمون)- الذي قاد الحركة في فترة من أشد الفترات سواداً، حيث تعرضت حركة الإخوان للسجون والمعتقلات، بل للقتل والتعذيب.

الإمام الممتحن الذي شاهد إخوانه يعلقون على أعواد المشانق من أمثال العالم الأزهرى الشيخ "محمد فرغلي"، وصاحب موسوعة التشريع الجنائي في الإسلام الشهيد "عبدالقادر عودة"، و"الداعية الرباني الشهيد" محمد يوسف هؤاش وغيرهم فلم يهتز، وأطلق الرصاص على إخوانه، وهم داخل زنازينهم في سجن (ليمان طرة) ليسقط العشرات من الشهداء والجرحى فلم يهادن، وسجن أولاده وبناته وزوجه بهدف إضعافه أو النيل من يقينه فظل نائباً شامخاً كالطود الأشم.

على نفس نهج الإمام الممتحن سار ابنه، فعندما دخل السجن الحربى عام 1965م لم يهن المستشار "مأمون الهضبي" ولم يضعف، بل كان رمزاً للثبات، طلبوا منه تأييد النظام فرفض، وضعوه فيما سُمّي بزنازين الشمال، وقالوا: إن أهل هذه الزنازين سنتم تصفيتهم جسدياً فلم يعأ.

الداعية الإسكندري الأستاذ "محمد عبدالمنعم"، والذي رافق المستشار "مأمون الهضبي" في السجن الحربى يقول عنه: عندما قُدم للمحاكمة أمام الدجوى في عام 66 وسأله هذا المأفون الذي يُقال عنه أنه قاضٍ: هل لديك محام أم ستترافع عن نفسك؟

أجاب المستشار "مأمون": بل سأترافع عن نفسي بسؤال أوجهه إليك: لقد كنت وأنا معتقلين أسيرين في غزة في يد الصهاينة إبان العدوان الثلاثى على مصر 1956م، وجاء بنا العدو إلى الإذاعة الموجهة لمصر كي نهاجم بلدنا حكومة وشعباً، فأنا رفضت وأنت وافقت، وشتمت بلدك وهاجمت حكومتها، وهنا يهتف والده الإمام "حسن الهضبي" من قفص المحاكمة، ويقول لابنه "المأمون": أحسنت يا ولدي.. لقد عرفتُ إذن كيف أربي.

واستقبل حكم المحكمة الجائرة باسمًا ساخراً، تماماً مثلما استقبله الشهيد "سيد قطب" عندما نُودي عليه من قبل القاضي الطالم ليُعلمه بالحكم، وخرج من باب المحكمة مازاً بإخوانه الذين ينتظرون دورهم لسماع الأحكام، فلما سألوه عن الحكم الذي صدر عليه قال: شهادة في سبيل الله ما كنت أظن أنني سأستحقها، ومثله مثل المجاهدة "زينب الغزالي" التي قالت لإخوانها: أنا أحتكم "زينب الغزالي الجبيلي" .. خمسة وعشرون عاماً في سبيل الله.

لقد كانت جنازة المستشار "مأمون الهضبي" تكريماً لدعوة (الإخوان المسلمون) ودعاتها، واستفتاءً على شعبيتها، استفتاءً حقيقياً لا تزوير فيه ولا تضخيم، وصورة طبيعية لا تحسين فيها ولا تجميل.

كانت تكريماً للداعية الصادق، والقاضي الفقيه، والعالم الموسوعي، والفارس الذي لا يشق له غبار، والمصلح الاجتماعى الذي كان يفتح كل المنتديات بلا خوف ولا وجل، ويخالطها بسمت الداعية المعتر بدينه الواثق بشريعته.

المستشار
الهضبي -
رئيس الكتلة
الإخوانية
لبرلمان 1987

وكانت تكريماً للداعية الذي شاهده الناس وهو يقود أكبر فريق برلماني في مجلس الشعب المصري منافحاً عن الشريعة، مدافعاً عن القيم، رآه فقيهاً شرعياً ودستورياً وقانونياً، ورآه سياسياً محنكاً، ورآه داعيةً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ورآه مجادلاً لمخالفيه بالتى هي أحسن.

وكانت الجنازة تكريماً لراهب الليل وفارس النهار، القوام الصوام، الذي كانت له مع ربه كل ليلة ساعتين متبتلاً مستغفراً.

الداعية "الهضبي" الذي اتخذ المشاركة في العمل العام سبيلاً للدعوة إلى الله، فكنا نراه مرتاداً للنوادي محاضرًا، وللمقاهى - في جولاته الانتخابية - واعظاً ومذكراً، ولمقرات الأحزاب مشاركاً للتيارات السياسية والحزبية، معبراً عن دعوة الإسلام ورؤيتها لمختلف القضايا.

الداعية الهضيبي الذي كان دائمًا يحرض أبناءه وتلامذته على المشاركة في العمل العام، وخدمة المجتمع، والدفاع عن قضاياها والتصدي لمشكلاته.

كان يؤمن بالدعوة بمفهومها الشامل عبر المساجد، والجامعات، والنوادي، والنقابات، الدعوة في البيت والشارع والمقهى والمتجر.

رفع شعار (الإسلام هو الحل) لقضايا الأمة ومشكلاتها، وسعى إلى ترجمة الشعار إلى العديد من البرامج في مجالات الشورى والحريات العامة وحقوق المرأة، والسياسة والاقتصاد، والتربية والثقافة، والاجتماع والعمارة، والبطالة والبيئة.

كان من أشد الدعاة المتحمسين لدور المرأة المسلمة في الدعوة إلى الله وإصلاح المجتمع، باعتبارها تمثل نصف هذا المجتمع، وتربي وترعى النصف الآخر، ودافع عن حقوقها العامة، وترجم هذا الدفاع إلى واقع عملي.

أعطى بعض وقته للرد على المرجفين الذين حاولوا تشويه الإسلام واتهامه بالتخلف والرجعية، فكتب وناظر وألف واجتهد ونشر العديد من الدراسات والمقالات التي تكشف حقيقة الإسلام لأبنائه الجاهلين أو أعدائه الحاقدين.

الداعية "الهضيبي"- الذي قاد أكبر جماعة إسلامية في العالم الإسلامي - لم ينعزل عن قضايا الأمة، بل كان في مقدمة المدافعين عنها، رأيناه في الشهور الأخيرة يقود تجمع استاذ القاهرة الدولي الذي احتشد فيه مئات الألوف دفاعًا عن فلسطين والعراق، ورأيناه يقود مظاهرة الأزهر التي شارك فيها عشرات الألوف، وكان آخر مواقفه الدفاع عن حق المسلمات في فرنسا في ارتداء الحجاب.

رحم الله المستشار "محمد المأمون الهضيبي"- المرشد العام لـ(الإخوان المسلمون)- الداعية المجاهد، والفقير المتواضع، والعالم الجليل، الذي ظلّ طيلة حياته يردد: الله غابتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا.

رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وعوض الدعوة الإسلامية فيه خيرًا.

وكيل نقابة الصحفيين المصرية

<https://www.ikhwanonline.com/article/5249>